موقف الإسلام من الغلو والانحراف

أ. د. أحمد فهمي علي محمد

أستاذ مساعد ورئيس قسم العقيدة والفلسفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمين، اللهم صلي عليه وعلى آله وصحبة أجمعين

وبعد

فهذا بحث موجز حرصت فيه على بيان منهج العقيدة الإسلامية في حماية البشرية من الغلو والانحراف، وقد دفعني إلى الكتابة في هذا البحث ما رأيته على الساحة الفكرية من الصراع بين الحق والباطل والخير والشر، ويبدو الباطل في أحيان كثيرة عالي الصوت واسع الانتشار، له بريق يأخذ بالأبصار، ولكن الباطل مهما على صوته وزاد أعوانه فإنه عند النظرة القريبة الفاحصة والمدققة يظهر على حقيقته عاريا من الحق والحقيقة فتراه كما عبر عنه القرآن الكريم: "كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا"(١).

---

١) سورة النور الآية رقم ٣٩.

وقد تعرضت الأديان على مدى تاريخ البشرية لموجات ظالمة من الاتهامات الباطلة للتشويش على الرسالات الإلهية التي آتى بها الأنبياء والمرسلون من عند ربهم لإبلاغها للناس بهدف إخراجهم من الظلمات إلى النور، وكان النصيب الأكبر من هذه الحملات الظالمة موجه إلى الإسلام بوصفه خاتم الأديان وأخر حلقة في سلسلة الاتصال بين السماء والأرض، ولا تزال هذه الحملات مستمرة حتى الآن ضد الإسلام متمثلة في أقوال ظالمة منها قولهم أن الإسلام يدعو أتباعه إلى التعصب والتعصب يدعو إلى الإرهاب والانحراف.

وإذا كان خصوم الإسلام لا يملون من ترديد باطلهم وبخاصة في عصرنا الحاضر الذي توفر فيه أحدث ما عرفته البشرية من وسائل النشر والإتصال، فمن واجب علماء الإسلام أن يضاعفوا جهودهم في الدفاع عن دينهم، ودحض الإفتراءات والأباطيل التي يرددها خصوم الإسلام بأسلوب علمي مقنع يزلزل الأرض من تحت أباطيل المبطلين وزيف المزيفين ومشاركة مني كمسلم غيور على دينة أردت أن أسهم بهذا البحث المتواضع في الدفاع عن الدين والعقيدة وعن كل ما نسب إلى العقيدة الإسلامية زورا وبهتانا، وبعيدا عن التعصب الأعمى الذي لا يوصل بصاحبة إلا إلى الهلاك والضلال والعياذ بالله.

وكتاب الغرب حين يكتبون عن الإسلام يتفاوتون في قيمة الكتابة على حسب البواعث والنيات أضعاف تفاوتهم على حسب الدراية والمعرفة، وسبب إختلافهم في هذه المؤثرات أنهم طوائف متغيرة لا تتفق في الوجهة والخلق والإستعداد،

فمنهم المبشرون الذين ينحرفون عن الصواب إضطرارا أو إختيارا
[illegible] بباعث من التعصب أو من حكم الحرفة والصناعة لأن التبشير عندهم
منفعة مادية يعيشون عليها، ويحرصون عليها حرصهم على القوت والجاه.

ومنهم أناس يخدمون السياسة الغالبة على دولهم، ويصطنعون لغة
[illegible]عاية تارة ولغة الدبلوماسية تارة أخرى. ومنهم من ينشد الرأي خالصا
[illegible]وجه الحقيقة، ولكنه مشوب بالتقصير والبحث العلمي ومنهم أناس
[illegible]شيعون له بمقدار ثورتهم على سلطة الدين في بلادهم فهم يتطلبون
[illegible]حاسنة، ويقابلون بها مساوئ السلطة التي يثورون عليها[1].

ومنهم أناس حرصوا على مهاجمة الإسلام، وتشويه صورته وتجريح
[illegible]نبيه صلى الله عليه وسلم، مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

ورغم أحقاد أعداء الإسلام عليه، وجريمة الغرب في تشويه صورته
المشرقة في أنظار أهله وغير أهله، إلا أن كثيرين من بلاد الغرب يشهدون
شهادة الحق والصدق للإسلام ونبيه -صلى الله عليه وسلم- رغم تمسكهم
بعقيدتهم، أو بعد اهتدائهم إلى الإسلام والانطواء تحت لواء مبادئه وتعاليمه
وهؤلاء لم يدخلوا الإسلام اعتباطا أو عن جهالة أو بتغرير أو بتأثير، بل
أعلنوا إسلامهم على علم به، ودراسة وتمحيص وهم أصناف شتى ففيهم
أساتذة جامعات، وفقهاء في القانون ورجال سياسة، وعلماء دين، وغير
ذلك، مما يدل على أنهم لم يؤمنوا إيمان العجائز الجاهلين، ولم يندفعوا
اندفاع العاجزين ولم يقعوا فريسة للتغرير والتضليل والإكراه، بل وجدوا في
الإسلام الدواء الشافي لعللهم، والنور الوهاج لقلوبهم[2] وليس هدفنا من

---

[1] ما يقال عن الإسلام د/ العقاد ص ٧٥.

[2] الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين للمستشار/ محمد عزت الطهطاوي، ص٧٥.

البحث أن نستقصي جماعة المستشرقين لكن أردت أن أعطي بهذه المقدمة الموجزة بيان أوضح فيه أن أعداء الإسلام متفاوتون في موقعهم من الإسلام وعقيدته وقد ركزت في البحث على نقاط هامة منها.

أولا: مفهوم الغلو في اللغة والشرع وكيف وقف الإسلام منه، وذكرت المنهج الذي رسمة الإسلام في القضاء على الغلو، مما يدل دلالة قاطعة على أن الإسلام دين ينهى عن الغلو ويحاربه وهذا يعني أن الإسلام يدعوا إلى الاعتدال والوسطية كما سنرى.

ثانيا: مفهوم الانحراف، وأسبابه، وكيفية معالجة الإسلام له في جميع مجالاته وتنقية المجتمعات الإسلامية من أثاره السيئة على وجه الخصوص، والمجتمعات البشرية على وجه العموم.

أسأل الله أن يوفقنا لخدمة العلم والدين، وأن يجعل علمنا كبيرة وصغيرة خالصا لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير.

مفهوم الغلو:

الغلو أسلوب من أساليب مقاومة الإسلام، وهدف إلى هدم وتقويض مبادئه، والانقلاب على تعاليمه، وقبل أن نتكلم عن الغلو والغلاة وأهدافهم وموقف الإسلام منهم والحكم عليهم ينبغي علينا أن نعرف أولا معنى الغلو في اللغة والاصطلاح ثم نتطرق بعد ذلك إلى الحديث تفصيلا عن أهدافه وغايته.

أولا: تعريف الغلو في اللغة:

جاء في لسان العرب قوله: "وأصل الغلاء الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شئ. . وغلا في الدين والأمر يغلوا غلوا، جاوزت حده، وفي التنزيل "لا

تغلوا في دينكم" وقال بعضهم غلوت في الأمر غلوا وعلائية وعلائيا إذا جاوزت فيه الحد وأفرطت فيه[١] وعلى هذا فمادة الغلو تدور كلها حول التعمق ومجاوزة الحد والتشدد الذي يفضي بصاحبه إلى تحميل نفسه بما لا يطيق وإلى هذا يشير الحق تبارك وتعالى: " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به. .. الآية[٢].

يقول صاحب كتاب تصحيح الاعتقاد: الغلو هو التجاوز عن الحد والخروج عن القصد في كل شئ وغلا في الدين، والأمر يغلو جاوزه حده وأفرط فيه[٣].

وفي الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم " إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين " أي بالتشدد فيه ومجاوزة الحد[٤].

ثانيا: تعريفه في الاصطلاح :

يعرف الغلو اصطلاحا: بأنه موقف مبالغ فيه يقفه فرد أو جماعة من قضية دينية أو مبدئية، أو من شخص له ارتباط بهذه القضية، وقال الشيخ الغلاة هم الذين نسبوا أمير المؤمنين على بن أبي طالب والأئمة من

---

[١] لسان العرب لابن منظور جـ ٥ ص ٣٢٩ ظ/ دار المعارف.

[٢] سورة البقرة - الآية ٢٨٦.

[٣] تصحيح الاعتقاد ص ٢١٧.

[٤] خرجه الإمام أحمد في مسنده جـ ١ ص ٢١٥.

ذريته إلى الألوهية والنبوة، ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزا فيه الحد وخرجوا عن القصد[١].

وقد وافق الشهرستاني الشيخ المفيد في هذا التعريف فقال: الغلاة هم الذين غالوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة، وحكموا فيهم بأحكام الألوهية فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق وهم على طرفي الغلو والتقصير[٢].

من التعريفات السابقة للغلو يتضح لنا أن معناه المبالغة في فهم النصوص الدينية والتعنت الشديد في تطبيقها على نحو يخالف المراد منها، وهو إفراط شديد نهى الإسلام عنه أشد النهي وتوعد عليه أشد الوعيد كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم بقوله " قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل"[٣].

يقول صاحب المنار في تفسير هذه الآية: الغلو الإفراط وتجاوز الحد في الأمر، فإذا كان في الدين فهو تجاوز حد الوحي المنزل إلى ما تهوى الأنفس كجعل الأنبياء والصالحين أربابا ينفعون ويضرون بسلطة غيبية لهم فوق سنن الله في الأسباب والمسببات الكسبية واتخاذهم لأجل ذلك آلهة يعبدون فيدعون من دون الله تعالى أو مع الله تعالى، سواء أطلق عليهم لقب الرب والإله كما فعلت النصارى أم لا ؟

---

١) تصحيح عقائد الإمامية ص ٢٥٧.

٢) الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ٢٨٨.

٣) سورة المائدة - الآية رقم ٧٧.

وكشرع عبادات لم يأذن بها الله، وتحريم ما لم يحرم الله كالطيبات التي حرمها القساوسة والرهبان على أنفسهم وعلى من إتبعهم مبالغة في التنسك سواء كان ذلك لوجه الله أم كان رياء أو سمعة نهى الله تعالى أهل الكتاب الذين كانوا في عصر نزول القرآن عن هذا الغلو الذي كان عليه من قبلهم من أهل ملتهم فذكرهم بأن الذين كانوا قبلهم قد ضلوا بإتباع أهوائهم في الدين وعدم إتباعهم فيه سنة الرسل والنبيين الصالحين من الحواريين فكل أولئك كانوا موحدين، ولم يكونوا مفرطين ولا مفرطين وإنما كانوا للشرك والغلو في الدين منكرين[1].

إلى جانب ما ذكرنا من التعريفات السابقة للغلو فإننا نجد لابن خلدون تعريف آخر حيث يقول: الغلاة هم الذين تجاوزا حد العقل والإيمان في القول بألوهية الأئمة أما على أنهم بشر إتصفوا بصفات الألوهية، أو أن الإله حل في ذاتهم البشرية[2].

ومن هنا نرى أن الغلاة بإجماع المسلمين تجاوزوا الحد في الغلو والتقصير وتجاوزوا حدود الإيمان والعقل حين أخرجوا الأئمة من دائرتهم البشرية الحادثة إلى قدسية الألوهية المطهرة.

والغلو من أخطر الأساليب وأشدها، ذلك لأنه لم يعلن تناقضه مع الإسلام أي لم يحاربه، وإنما تظاهر به وعمل تحت شعاره وفي ظل اسمه.

أهداف الغلو :

---

١) تفسير المنار جـ ٦ ص ٢٠٥ ط الهيئة العامة للكتاب.

٢) المقدمة لابن خلدون ص ٨٣.

عرفنا فيما مضى أن الغلاة لم يحاربوا الإسلام وإنما عملوا تحت لواءه وإتخذوه شعارا لهم وهنا قد يرد إلى الذهن سؤال هو هل طبق الغلاة تعاليم الإسلام ؟ وحاولوا نشر مبادئه وقيمه ؟ أم كانوا ينشدون غاية أخرى يبغون الوصول إليها ؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول:

لم يكن الغلو من أولئك الذين غالوا في حق أئمتهم وإنزالهم مكان الألهة وقالوا بحلول الذات الإلهية فيهم، لم يكن ذلك حبا منهم في الدين ولا حبا لأولئك الأئمة ولا إجلالا لشأنهم وتعظيما لقدرهم، بل كانت لهم أهداف يسعون لتحقيقها من وراء ذلك الغلو، ومن خلال سلوكياتهم التي اتسمت بالمعارضة للعقيدة والشريعة في الإسلام وبالتآمر على السلطة العربية الإسلامية ليحققوا أطماعهم في السيطرة والرئاسة حتى قالوا بالحلول والعصمة والتأويل الباطني، والتستر والكتمان، والمهدي المنتظر وغير ذلك من الأفكار الفاسدة.

ويمكن إرجاع كل ذلك عندهم إلى تحقيق هدفين طالما سعوا من أجلهما وعملوا جاهدين لتحقيقهما وهما، هدم الإسلام وإسقاط سلطته[1].

الهدف الأول: هدم الإسلام :

من المعلوم أن الدين الإسلامي تستقى تشريعاته من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ومن هنا حرص الغلاة وعملوا كل ما في وسعهم على تأويله وتحريفه وتشويش مضامينه وكانت طريقتهم تتلخص في صد الناس عن القرآن تارة بتأويل أحكامه وصريح نصوصه إلى ما يخرجهم عن

---

١) الغلو والفرق الغالية – عبد الله سلوم ص ١٨٠ – ١٨١.

معناها، وتارة أخرى بالتطاول عليه والطعن في فصاحته فقالوا: أن فصاحة أكثم بن صيفي تفوق فصاحة القرآن[١].

وقد كذبوا في ذلك حيث أن القرآن الكريم تحدى الله به أرباب الفصاحة والبلاغة وأرباب البيان فعجزوا عن أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه يقول الله تعالى: " وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين "[٢].

فهل بعد هذا التحدي من الله عز وجل وإثبات عجز أصحاب الفصاحة وأرباب البلاغة في الإتيان بأقصر سورة من مثل القرآن الكريم فهل هناك مجال لقائل بأن أكثم بن صيفي هذا فصاحته تفوق فصاحة القرآن الكريم، اللهم إلا إذا كان هذا القول من مكابر معاند للحق والحقيقة.

ومما زاد على ذلك أنهم قالوا: أن القرآن غير حكيم، وأن فيه تناقضا واضحا وخطأ وكلاما يستحيل[٣].

وهذا قول فيه من السفه والحمق ما فيه حيث أن القرآن الكريم مع طول آياته وإمتدادها لا يرى فيها تناقضا ولا خطأ ولا إختلافا ولا شيئا مما قاله هؤلاء السفهاء، ومعاذ الله أن ينسب إلى القرآن شئ كهذا، فقد كان القرآن الكريم وسيظل المعجزة الخالدة، ولو كان كما زعموا ما إستحق الخلود ولا الحفظ والبقاء الذي تعهده الله به حيث يقول الحق تبارك

---

١) من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص ١٤١.

٢) سورة البقرة – الآيات أرقام ٢٣ – ٢٤.

٣) الانتصار ص ١٢.

وتعالى: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "[1] وإذا كان هؤلاء الأفاكون قد إمتد إجرامهم إلى القرآن الكريم الذي يعتبر الدعامة الأولى للتشريع الإسلامي، فإن موقفهم من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بأحسن شأنا من سابقه وهذا يعني أن هذا السفه والتطاول إمتد إلى السنة المطهرة بإعتبارها المصدر الثاني للتشريع

ومن هنا لجأوا إلى وضع الأحاديث المكذوبة ونسبوها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ولجأوا كذلك إلى الأحاديث الضعيفة والموضوعة ليجدوا من ذلك ضالتهم المنشودة وتحقيق مآربهم وأطماعهم الخبيثة.

وفي هذا يقول ابن الأثير: فلما يئس أعداء الإسلام عن استئصاله بالقوة ولم يستطيعوا النيل منه، أخذوا في وضع الأحاديث المكذوبة لتشكيك ضعاف العقول في دينهم وعمدوا إلى الأحاديث الصحيحة بالتأويل والطعن وكان أول من فعل ذلك أبو الخطاب الأسدي وأبو شاكر ميمون بن ديصان صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة[2].

ومن الذين وضعوا الأحاديث المكذوبة عبد الكريم بن أبي العوجاء الذي أعلن قبل قتله قائلا لئن قتلتموني فقد وضعت في أحاديثكم أربعة ألاف حديث مكذوبة موضوعه[3].

وإذا كان الغلاة قد تطاولوا على كتاب الله وزيفوا في أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فماذا بقى لهم من وسائل ليهدموا بها أركان هذا الدين؟.

---

١) سورة الحجر - الآية رقم ٩.

٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ١ ص ٢١.

٣) أنظر كتاب الأمالي للشريف المرتضى جـ ١ ص ١٢٨.

يقول صاحب كتاب المقالات: لقد لجأت الفرق الغالية إلى التأويل كسلاح من أهم الأسلحة يستعملونه في التحلل من القيم الأخلاقية، والشعائر الدينية وفي إشاعة الإباحية والإلحاد[1] وقد وضح هذا المأرب الذي يهدف إليه الغلاة جمال الدين الأفغاني فقال: إن مقصد أرباب هذه الطريقة محو الأديان ووضع أسس الإباحية[2].

إذ لجأ الغلاة إلى هدم الدين اسلامي وكان تركيزهم منصب حول القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث زعموا القول بأن فصاحة القرآن تفوقها فصاحة البشر وقد بينا بطلان ذلك كما نسبوا القول زورا وبهتانا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بوضعهم الأحاديث المكذوبة تارة أو تحريفهم الأحاديث الصحيحة تارة أخرى.

فعلوا كل ذلك لأنهم يريدون هدم أركان الإسلام والتحلل من الفرائض والأوامر والنواهي، وإذا ما صح لهم ذلك سعوا في الأرض فسادا وقلبوا الأمور رأسا على عقب، وجعلوا الحق باطلا والباطل حقا عن طريق عقيدة يدينون بها وشريعة تحكمهم في معاملاتهم وإعتقاداتهم

ومما يؤكد أن هدف الغلاة هو هدم الإسلام ما جاء على لسان أحدهم قوله: إني أضيق بدين محمد وليس عندي جيش أحارب أهله به، وليس لدي مال، ولكني في الحيلة طويل الباع، بحثت إذا ألقيت عونا من أحد لقلبت دين محمد رأسا على عقب[3].

---

١) أنظر مقالات الإسلاميين للأشعري ص ٢١٧.

٢) الرد على الدهريين ص٤.

٣) بيان الأديان ص٤١، ٤٢ أبو المعالي الحسين عن الغلو والفرق الغالية لعبد الله سلوم.

ويذكر الإمام الشهرستاني ما أحدثة الغلاة في هدم الدين فيقول: وعملت طوائف منهم على إلغاء دور الدين الإسلامي حين إدعت أن محمدا لم يكن خاتم النبيين، وأن الله سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا جملة واحدة ويترك شريعة محمد[1] وهذا القول من الغلاة فيه من الكفر والضلال ما فيه لأنه يتنافى مع صريح ما جاء به القرآن الكريم حيث قال الله تعالى " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين"[2].

وكذلك يتناقض مع ما جاء في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال " وختم بى النبوة"[3].

الهدف الثانى: إسقاط السلطة الإسلامية:

سبق أن عرفنا أن للغلو أهداف يبغيها هي هدم الإسلام وتقويض أركانه وذلك بالتطاول على كتاب الله تارة والكذب والدس في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تارة أخرى.

وأما الهدف الثانى للغلاة فهو إسقاط السلطة الإسلامية.

وإذا نظرنا إلى هذا الهدف لوجدنا أن الغلاة يعتبرونه الهدف الأساس والأهم عندهم، وذلك لأنه يؤدى بالضرورة إلى تحقيق الغاية الأولى وذلك لأن هدم الإسلام لن يتحقق إلا إذا سقطت سلطته التي قامت على أساسه وعملت على نشره وحمايته، ودافعت عنه دفاعا عظيما.

---

١) الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١٣٦.

٢) سورة الأحزاب الآية رقم ٤٠.

٣) صحيح البخارى ج ٢ص٢٥ ط/ الشعب.

يقول صاحب كتاب الغلو والفرق الغالية: فكان تحرك الغلاة نحو إسقاط السلطة العربية الإسلامية عن طريق إثارة الفتن والطعن فى الخلافة والتمرد على الخلفاء والتحريض على قتالهم، والحكم بتكفيرهم والتعاون الرخيص مع كل غادر وطامع يريد النيل من الإسلام والقضاء عليه[1].

هؤلاء الغلاة رفضوا خلافة الشيخين أبى بكر وعمر، ولم يقفوا عند حد الرفض ولكنهم تطاولوا عليهما فرموهما بالكفر ظلما وعدوانا وغالوا كذلك فى حق على ابن أبى طالب كرم الله وجهه، ورفعوه عن سائر الصحابه، مشايعين له، بل وصل بهم الأمر إلى أن أوصلوه إلى درجة النبوة ثم القول بعد ذلك إلى القول بألوهيته على حد زعمهم.

وبالنظر إلى ما يقوله هؤلاء الأفاكين نجد أن أقوالهم مخالفة تمام المخالفة لنصوص الكتاب العزيز، وهذا مما لا يقره مسلم أو يقوله من كان عنده حبه خردل من إيمان، فكيف يمكن وصف أجلاء الصحابة رضوان الله عليهم بالكفر والقرآن الكريم قد شهد لهم بالعدالة وشهد برضا الله عليهم يقول الحق تبارك وتعالى " لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا"[2].

فكيف يستحل مسلم لنفسه أن يطعن فى هؤلاء الذين خصهم الله بالذكر فى كتابه العزيز.

يقول الشيخ أبو زهرة: أرادوا هدم الإسلام وإسقاط سلطته وأراد الله إعلاء كلمته ونصر دينه فكانت إرادة الله هي النافذة وكلمته هي العليا،

---

١) الغلو والفرق الغالية ص ١٧٨.

٢) سورة الفتح - الآية رقم ١٨.

وكلمة هؤلاء الغلاة هي السفلي، فقد أيد الله الإسلام برجال مخلصين يدافعون عن عقيدته ويحرسونه من مخاطر هؤلاء الذين يريدون النيل منه، وكشف القناع عن وجوههم فهم لبسوا ثوب النفاق وأخذوا يعملون في الخفاء، ويظهرون الإسلام ويبطنون الإلحاد والزندقة ولم يبق لهم من الإسلام إلا الاسم[1].

هذا ما كان من أهداف الغلو، وما كانوا يقصدونه من عقائدهم الفاسدة ومزاعمهم الباطلة، فقد كانوا فرقا ضالة لم يجر الله على أيديهم خيرا، ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية، ولا رفع للإسلام بهم رأيه، ومازالوا يسعون في قلب نظام المسلمين ويفرقون كلمة المؤمنين، ويسلون السيف على أهل الدين ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين.

وما توصلت الباطنية إلى كيد الإسلام وإخراج الضعفاء منه إلى الكفر إلا على ألسنة هؤلاء[2].

فأهداف الغلاة كما لاحظنا إن دلت فإنما تدل على عداونهم للإسلام وشعورهم نحوه بأنه أوقفهم عن نزواتهم الفاسدة وعقائدهم الباطلة التي روجوا لها وعملوا على نشرها وأخذوا يدافعون عنها، فعموا عن الحق واتباع الهدى فضلوا وأضلوا وصدق الله العظيم إذ يقول: " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون "[3].

موقف الاسلام من الغلو والغلاة:

---

١) المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٩٥.

٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم جـ ١ ص ٢٢٧

٣) سورة الصف – الآية رقم ٨.

بعد أن عرفنا حقيقة الغلو وأهداف الغلاة، جاء الدور هنا لنتحدث عن موقف الإسلام من الغلو والغلاة فنقول وبالله التوفيق إن الإسلام نهى عن الغلو بجميع صوره وأشكاله، حيث نهى عن المغالاة في الاعتماد، كتصور الذات الإلهية على مثال المخلوقات قال تعال: " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير "(١).

وقال أيضا: "قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد" سورة الإخلاص.

ومما لا ريب فيه أن الإسلام جاء برسالة كاملة في عقائدها وعبادتها ووضع في المعاملات من القواعد والأصول الكلية التي تندرج تحتها سائر الجزئيات والفروع التي تجد في البشرية إلى يوم القيامة، ومن هنا أعلن الله في صراحة هذا الإكمال وذلك الإتمام في قوله تعالى: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا "(٢).

وعلى ذلك فنحن ملتزمون بإتباع ما شرعه الإسلام ولا سيما في نطاق العقائد والعبادات التي لا مجال للإجتهاد فيها، ولنا حق الإجتهاد في فروع المعاملات وفقا لما تقتضيه المصلحة العامة شريطة الإلتزام بقواعد الإسلام الكلية من الحلال والحرام والتي تضمنها الكتاب والسنة، أما العقائد والعبادات فهي محددة تحديدا دقيقا ولا مجال للزيادة فيها بحجة إكمالها أو النقص منها بحجة التيسير على الناس، ولذلك رأينا الإسلام ينهي عن الغلو ويأمر بالإتباع محافظة على العقيدة والعبادة حتى لا يقع المسلمون فيما وقع فيه أهل الكتاب حين غالوا في أنبيائهم، وحين أبتدعوا في الدين أشياء

---

١) سورة الشورى - الآية رقم ١١

٢) سورة المائدة - الآية رقم ٣

لم يرتضيها الله ورسوله قال تعالى: "ورهبانية إبتدعوها ما كتبناها عليهم إلا إبتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها"(١).

وقال تعالى: " قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا عن سواء السبيل"(٢).

ومن هنا حرم الإسلام الغلو في الدين وجعل ذلك من الأمور التي توجب عقاب الله وسخطه.

وليس لقائل أن يقول إن المنهيين عن الغلو هم أهل الكتاب فإنه ليس من المعقول ولا من المقبول أن ينهى الله أهل الكتاب عن المغالاة في الدين ويبيحها للمسلمين، بل أن الإسلام أحتاط أشد ما يكون الإحتياط وشدد أبلغ ما يكون التشديد في أمر العقائد حتى لا يصيبها ما أصاب عقائد أهل الكتاب وعبادتهم من التبديل والتحريف من هذا المنطلق وجدنا فرقة أهل السنة وجمهور المسلمين يقفون من الغلاة موقفا حاسما، فهم متفقون على تكفيرهم ووجوب مقاومتهم، وتفنيد أرائهم وإبطال شبهاتهم، وقد ألفوا العديد من الكتب والرسائل ردوا فيها على الغلاة والزنادقة وأصدروا الفتوى في تكفيرهم ووجوب الأخذ على إيديهم حتى لا يفسدوا الدين، ويضللوا ببدعهم وغلوهم جهلة المسلمين يقول صاحب كتاب الفرق بين الفرق، من كان على بدعة الباطنية أو المغيرية أو السبائية أو الخطابية أو كان على دين الحلولية أو على دين أصحاب التناسخ، أو كان ممن يحرم شيئا مما نص

---

١) سورة الحديد - الآية رقم ٢٧

٢) سورة المائدة - الآية رقم ٧٧

القرآن على إباحته، أو أباح ما حرم القرآن باسمه فليس هو من جملة أمة الإسلام[١].

وما إعتقده الغلاة ودانوا به بعيد كل البعد عن القرآن الكريم والسنة المطهرة مما أخرجهم عن دائرة الإسلام، وإلى هذا المعنى يشير الشيخ أبو زهرة بقوله: وهذه وغيرها هي فرق خارجة عن الإسلام منحرفة في الإعتقاد لأبعدها الشيعة المعتدلون من بينهم ولا يعدون من أهل القبلة، والشيعة بريئون منهم كل التبرؤ[٢]. هذا هو موقف أهل السنة من الغلاة فماذا عن موقف الإمام علي منهم.

إذا تتبعنا موقف الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهة من الغلاة وهو إمام الشيعة الأول الذي يرفضون إمامة غيره من الأئمة في حياته لوجدنا أن الإمام علي تبرأ من هؤلاء وأمر بقتالهم وأحرق الكثير منهم مما يدل على أنه رفض الغلو والغلاة إنطلاقا من موقف القرآن الكريم والسنة المطهرة منهم.

يحدثنا صاحب كتاب نهج البلاغة فيقول: أما عن موقف الإمام علي من الغلاة فقد عثر على قوم من أصحابه خرجوا عن حد محبته بإستحواذ الشيطان، عليهم إذ كفروا بربهم وجحدوا خالقهم وما جاء به نبيهم فأتخذوا عليا ربا، وقالوا له أنت خالقنا ورازقنا فما قبل منهم ذلك ولا أقرهم عليه بل طلب منهم أن يتوبوا ويرجعوا عن قولهم هذا، وهددهم بالعقاب إذا أصروا على كفرهم فلما وجدهم قائمين على مقالتهم حفر لهم حفرا ودخن عليم فيها

---

١) الفرق بين الفرق للإمام البغدادي ص ٢٣٢

٢) المذاهب الإسلامية للشيخ أبو زهرة ص ٦٦

طمعا في رجوعهم " أى توبتهم " لكنهم أبوا وساروا في ضلالتهم يعمهون فحرقهم وقال: لما رأيت للأمر أمرا منكرا أججت نارا ودعوى قنبرا[1].

هذا هو موقف الإمام علي رضى الله عنه من الغلاة، ولم يتوقع مسلم أن يحدث غير هذا من الإمام علي ضد الغلاة والنكاية بهم وتحريقهم لأنه كما جاء فى وصفه، أول الناس إيمانا وأجودهم عطاءا وأكثرهم تقوى ومزاياه في الزهد والتقوى والشجاعة لا ينكرها، أحد ولم يكن لمن هذه صفاته أن يقر منكرا يخالف دين الإسلام ويرفع شخصا حادثا إلى درجة النبوة أو الألوهية، أو ينتقص من قدر الأنبياء، أو يحل حراما أو غير ذلك من المنكرات.

هذا وللإمام علي رضى الله عنه موقف أخر من جماعة من الغلاة نذكره هنا لنؤكد من خلاله أنه حارب الغلو والغلاة وجاهدهم لكي يعودوا إلى رشدهم وصوابهم فلما لم يجد منهم إستجابة فما كان منه إلا أن عذبهم وأمر بإحراقهم.

يحدثنا صاحب كتاب الجذور التاريخية للنصيرية عن مواقف الإمام علي من الغلاة فيقول: فقد وجد قوما يأكلون في نهار رمضان لغير عذر، ولما سألهم عن ذلك تبين أنهم يأكلون لا لعذر مبيح للفطر، بل قالوا له أنت أنت يومئون إلى ربوبيته، فنزل رضوان الله عليه عن فرسه وألصق خده بالتراب وقال: ويلكم أنا عبد من عبيد الله، فاتقوا الله وإرجعوا إلى الإسلام، فأبوا فدعاهم مرارا فأقاموا على كفرهم، فنهض إليهم وقال شدوهم وثاقا ثم أمر بحفرتين فحفرتا وألقى بها الحطب وأشعله وجعل يناشدهم ليرجعوا إلى الإسلام فأبوا، فأمر بالحطب والنار فألقى عليهم فأحرقهم[2].

---

١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد جـ ٥٢ ص ٣١٠.

٢) الجذور التاريخية للنصيرية ص ٢٠.

تلك المواقف التي وقفها الإمام علي ضد الفتن والغلو الذي أراد الغلاة بث جذوره في حياة علي رضى الله عنه تعطينا صورة صادقة عن براءة علي كرم الله وجهة من الغلاة، ويتضح منها حكمه عليهم بأنهم كفار يقاتلون مقاتلة المرتدين عن الإسلام ولقد سار على منهج الإمام من بعده أئمة الشيعة المعتدلين في الحكم على الغلاة بالخروج عن الدين ووجوب التبرؤ منهم ومحاربتهم وإذا كان الإمام علي قد وقف من الغلاة هذا الموقف كذلك رجال أهل السنة فإن هناك فرقة أخرى كان لها الدور الكبير الفعال في الرد على الغلاة وأعني بهذه الفرقة فرقة المعتزلة.

يقول الشيخ أبو زهرة موضحا دور هذه الفرقة: وقد تصدى للرد على هؤلاء " يعني الغلاة " فرقة درست المعقول وفهمت المنقول فكانت المعتزلة، تجردوا للدفاع عن الدين وما كانت الأصول الخمسة التي تضافروا على تأييدها وتأزروا على نصرها، إلا للرد على المشبهة والمجسمة والحلولية وغيرهم من الفرق الخارجة عن الإسلام، فكشفوا شبهاتهم وفضحوا ضلالاتهم فمضوا في ذلك غير واتين[1].

نعم لقد بذل جمهور المعتزلة جهود مخلصة وواعية في تفنيد أراء الغلاة ومعتقداتهم والرد عليهم، وكان المعتزلة مؤهلين لمثل هذا العمل أكثر من غيرهم، وذلك لأنهم فضلا عن ثقافتهم الإسلامية الأصلية، وقفوا على ما في كتب الفلسفة الإغريقية والمسيحية والهيلينة من جدل المجابهة أفكار الثنوية والتغلب عليها.

ثم أنهم في مواجهتهم للغلاة إعتمدوا على المنهج العقلي فكانوا أكثر إفحاما لهم وأقدر على إبطال حججهم وتفنيد أرائهم، وفضح مواقفهم،

---

١) المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢١٨.

وأصبح تتبع حركاتهم المشبوهة والمعادية للإسلام الشغل الشاغل للمعتزلة[١].

فكان لهم أثر لا ينكر في الدفاع عن عقائد الإسلام ضد العقائد المخالفة على أساس منهج عقلي يدعوا إلى الإعجاب[٢].

وخلاصة القول في هذه القضية: أن الإسلام قد نهى عن الغلو في الدين وحذر منه وعمل على محاربته وحماية الدين منه لما له من أثر سئ وخطر كبير على الدين ومبادئه ومن هنا تتجلى لنا حكمة الإسلام حين حرم أشد التحريم على البشر أن يشرعوا في الدين ما لم يأذن به الله.

ومن واجبنا أن نذكر بان الغلو والإبتداع في الدين هما السبيل الذي تسلل منه الشيطان إلى عامة المتدينين بقصد تخريب العقائد وإفساد العبادات، ولهذا يجب محاربته بمختلف الطرق وشتى الوسائل لحماية الدين من خطره، ولذلك وقفت كل الفرق المعتدلة من الشيعة والمعتزلة وأهل السنة من الغلو والغلاة كما سبق أن عرضنا ومن واجب العقلاء والمنصفين ورجال الفكر والدين أن يردوا الغلاة فى الدين إلى رشدهم وذلك بمبدأ الحكمة والموعظة الحسنة يقول الحق تبارك وتعالى: أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين"[٣].

بهذا البيان الشافي نكون قد أعطينا صورة عن عظمة الإسلام وسماحته ووسطيته فهو دين يبغض الغلو وحذر منه مرارا وتكرارا، فهل بعد هذا

---

١) أنظر الغلو والفرق الغالية ص ١٩٥.

٢) دراسات فلسفية إشراف وتصدير د/ عثمان أمين ص ٣٩.

٣) سورة النحل - الآية رقم ١٢٥.

القول يوجد مجال لقائل أن يدعى أو يزعم أن الإسلام يدعو إلى الغلو، اللهم إلا إذا كان من المكابرين للحق المعاندين للنور، الذي يعيشون في ظلام الجهل والغي والخذلان.

مفهوم الإنحراف :

يقابل الغلو الإنحراف: وهو في اللغة الميل حيث جاء في المصباح المنير " إنحرف " عن كذا مال عنه ومنه تحريف الكلام أي العدل به عن جهته[1].

فالإنحراف إذن هو الميل عن الجادة وعن الطريق المستقيم وقيل هو الميل عن القصد، والقصد هو الطريق الواسع الميسر للسلوك فيه ويطلق عليه اسم الجادة، يقول ابن الأثير في النهاية أنها سواء الطريق ووسطه، وقيل هي الطريق الأعظم التي تجمع الطرق ولابد من المرور عليه، ومن كثرة المشي في الطريق يمهد نوعا ويسهل المشي فيه، والمنحرف هو الذي يميل إلى الحرفين أي جانبي الجادة الممهدة.

ومن هنا أطلقوا لفظ الوسط على الإعتدال أو على الشئ المعتدل بين طرفين غير مستقيمين حسا أو معنى وإختاروه طريقا أمثل للسلوك قال تعالى: " وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين "[2].

وعلى هذا يكون الإنحراف هو الخروج عن الطريق المستقيم الذي رسمة الشرع أو هو التساهل في مبادئ الدين وتعاليمه إلى الحد الذي يجعل صاحبه يتهاون بشرع الله تعالى ويقصر فيه بحجة التيسير والتخفيف.

---

١) المصباح المنير جـ ١ ص ١٧٩، ط/ المطبعة الأميرية بالقاهرة.

٢) سورة النحل – الآية رقم ٩.

وقد يطلق الإنحراف عرفا على التفريط والإهمال في الإلتزام أي إمتثال الأوامر وإجتناب النواهي.

ومن التعبيرات الحديثة عن الإنحراف أنه إنسلاخ شريحة من المجتمع عن المجرى الرئيسي لحياة المجتمع، أو نشاز في سيمفونية حينما ينعدم أو يختلط الإتساق في الإيقاع إما لخطأ في النوتة، أو لخطأ في المايسترو أو لخطأ في الفكر أو خطأ في السلوك الذي هو تطبيق للفكر أو أثر له[1].

تاريخ الإنحراف:

عندما نتحدث عن تاريخ الإنحراف ينبغي علينا أن نشير إلى نقطة هامة في هذه القضية وهي أن ظاهرة الإنحراف ليست قاصرة على أمة من الأمم أو هي مرتبطة بزمن من الأزمان، وذلك لأن مخالفة الإنسان للقوانين الدينية وغيرها ظاهرة موجودة منذ القدم وكذلك مخالفته لغيره في فكر أو سلوك موجودة كأمر مركوز في فطرته، بحكم إعتداد كل شخص برأيه وحريته ومحافظته على شخصيته أن تذوب في شخصية غيرة، أو بحكم عوامل أخرى داخلية أو خارجية تؤثر عليه.

ومما يؤكد صدق قولنا بوجود هذه الظاهرة منذ القدم ما حكاه القرآن الكريم عن أول واقعة إنحراف في تاريخ البشرية والتي أدت إلى وقوع أول جريمة قتل وقعت على الأرض حيث يخبرنا المولى عز وجل في كتابه فيقول: "وأتل عليهم نبأ أبني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الأخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين، لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله

---

١) بيان للناس من الأزهر الشريف جـ ١، ص ١٢.

رب العالمين، إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين"(١).

فالآيات تحكي لنا ما وقع من ابني آدم وهما هابيل وقابيل وفي سبب وقوع المنازعة بينهما قولان:

أحدهما: أن هابيل كان صاحب غنم، وقابيل كان صاحب زرع فقرب كل واحد منهما قربانا فطلب هابيل أحسن شاه كانت في غنمه وجعلها قربانا، وطلب قابيل شر حنطة في زرعه فجعلها قربانا، ثم تقرب كل واحد بقربانه إلى الله فنزلت نار من السماء فإحتملت قربان هابيل ولم تحمل قربان قابيل، فعلم قابيل أن الله تعالى قبل قربان أخيه ولم يقبل قربانه فحسده وقصد قتله.

ثانيهما: ما روي أن آدم عليه السلام كان يولد له في كل بطن غلام وجارية وكان يزوج البنت من بطن بالغلام من البطن الأخرى، فولد له قابيل وتوأمته، وبعدها هابيل وتوأمته وكانت توأمة قابيل أحسن الناس وجها، فأراد آدم أن يزوجها من هابيل، فأبى قابيل وقال أنا أحق بها، وهو أحق بأخته، وليس هذا من الله تعالى، وإنما هو رأيك، فقال آدم عليه السلام لهما: قربا قربانا فأيكما قبل قربانه زوجتها منه، فقبل الله قربان هابيل بأن أنزل الله تعالى على قربانه نارا، فقتله قابيل حسدا له(٢).

---

١) سورة المائدة الآيات ٢٧ - ٣٠.

٢) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي المجلد الخامس ص ٦٥٠ وما بعدها.

وبحكم التكوين الأساسى للإنسان من مادة وروح وعقل، والمادة مختلفة العناصر، وربما لا تتساوى نسبها أو درجة إمتزاجها فى كل فرد، كان لكل ذلك أثره في العواطف وفي الميول وفي إحكام العقل، الذى يحاول أن يرتفع بالإنسان إلى المستوى الأعلى، وتحاول هي أن تنحدر به إلى المستوى الأدنى وفي ظل هذه المعركة التي لا تهدأ يكون الخلاف ويكون الإنحراف وسيعيش الرأى والرأى الآخر ما عاش الإنسان على هذه الأرض وإلى هذا المعنى أشار القرآن الكريم " ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم "(١).

على ذلك جرت سنة الله منذ خلق الإنسان، وقصص الأنبياء والمرسلين والمؤمنين بهم والمكذبين، وكذلك قصص الملوك والرؤساء وما بينهم من تناقش على السلطان، وما يحصل بين الأفراد والجماعات من حين إلى أخر كل ذلك يؤيد هذه الحقيقة.

هذا فيما يتعلق بتاريخ الإنحراف في الرأى على المستوى الإنسانى العام أما ما يختص بالرسالة والتاريخ الإسلامى فنحن نعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان المرجع فى إزالة الحيرة من نفس الحائر، وكان المسلمون يسألونه مستفسرين والمخالفون لدينه يسألونه معارضين ومتعنتين ومجادلين، كانت هناك الأسئلة من كل نوع وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجيب على حسب ما يقتضيه المقام، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكره المراء في الدين والجدل بين المسلمين(٢).

---

١) سورة هود الآيات أرقام ١١٨ - ١١٩.

٢) التفكير الفلسفي في الإسلام د/ عبد الحليم محمود ص ٨٧.

وهكذا عاش النبى صلى الله عليه وسلم طوال حياته محافظا على عقيدة التوحيد داعيا إلى وحدة الصف، ناعيا على العصبية وعلى كل مظهر من المظاهر التي تمس قدسية العقيدة أو الوحدة بين المسلمين وقد شاءت إرادة الله أن يحدث الخلاف بين المسلمين ومازال الرسول -صلى الله عليه وسلم- مسجى بثوبه لم يدفن بعد.

وكان أول خلاف بينهم في مكان دفنه، هل يدفن بمكة بلده التي ولد فيها أو في مسجده أو فى البقيع أو في بيت المقدس مدفن الأنبياء حتى قال لهم أبو بكر ما سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم " ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه"(١).

ثم كان الخلاف في أمور الدنيا حيث إجتمع المسلمون في سقيفة بني مساعده وتشاوروا فيمن يكون خليفة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وإشتد بينهم الخلاف لدرجة أن المهاجرين إقترحوا أن يكون الأمير من بينهم، وكذلك الأنصار طلبوا أن يكون الأمير منهم واستطاع عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يحسم هذا النزاع وبايع أبا بكر رضى الله عنه خليفة للمسلمين، ثم بايعه الناس بعده وكان إنحراف أيضا لدى الأعراب الذين منعوا الزكاة مدعين أنها كانت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- خاصة فلا يعطونها لغيره وقام أبو بكر رضى الله عنه- بالقضاء على هذه الردة الفكرية والسلوكية ثم تولى الخلافة من بعده عمر بن الخطاب وذلك بمبايعة المسلمين له بعد ترشيح نفسه لها.

---

١) أنظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٩ والحديث رواه الترمزي في صحيحه.

وبالمؤامرة الدينية التي خطط لها اليهود والمجوس ولعبت فيها العصبية دورا كبيرا طعنه أبو لؤلؤة المجوسى، وباستشهاده -رضى الله عنه- إنكسر غلق الفتنة وفتحت أبوابها.

وجاء عثمان -رضى الله عنه- وكانت العصبية التي إنتهت باستشهاده ثم كان النزاع بين علي ومعاوية الذي إنتهى بشهداء أبرار فى موقعتى الجمل وصفين، وظهر التشيع بصورة قوية.

وكانت فرقة الخوارج وهي أول فرقة منظمة شذت بفكرها القائم على تكفير مرتكب الكبيرة ومن يرفض حكم الله من أجل حكم البشر رافعين شعار لا حكم إلا لله"[1].

وقد نبه الإمام علي -رضى الله عنه- على زيف هذا الشعار الذى إتخذوه ستارا لأغراض ليست في مصلحة الدين فقال محذرا: "كلمة حق أريد بها باطل".

وهكذا ظهرت فرق الخوارج على الساحة تنشر عقائدها الفاسدة ولم يقف الأمر عند هذا، بل خرجوا من شذوذهم الفكري إلى الشذوذ في السلوك فدبروا المؤامرات التي راح ضحيتها الإمام علي بن أبى طالب حيث طعنه عبد الرحمن ابن ملجم وهو يصلى الصبح .وظهر مقابل الخوارج وتشددها في عقائدها فرقة الشيعة التي قابلت تشدد الخوارج بتشدد أكبر في حبهم لعلي رضى الله عنه لدرجة أنهم غالوا في حقه ونقلوه من درجة البشرية إلى النبوة تارة والألوهية تارة أخرى كما عرفنا من قبل وظهرت في المقابل لهاتين الفرقتين فرقة المرجئة التي أرجأت الحكم على صاحب الكبيرة إلى

---

١) للمزيد من ذلك يمكن الرجوع إلى كتاب الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٧ وكذلك نيل الأوطار للشوكاني جـ ٧ ص ١٦٨.

الأخرة وتفويض أمره إلى الله كما ظهرت فرقة المعتزلة التي رأت القول
بأن صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين.

وكان لابد أن تتصارع هذه الفرق في القضايا محل الخلاف وهذا يعني
أن الإنحراف الذي تعاني منه البشرية اليوم ليس وليد الساعة بل هو مرتبط
بوجود الإنسان نفسه وهذا القول منا لا يعني الرضا بالإنحراف والتسليم
للمنحرفين وإلا فلا معنى من كتابة هذه الصفحات، ولكن أردت أن أرد على
من يزعم القول بالإنحراف الديني وينسب ذلك إلى الإسلام ويجعل الإنحراف
قاصرا عليهم دون بقية البشر.

ومن هنا وجدنا الدين الإسلامي الحنيف ينبذ الإنحراف ويقدم للإنسانية
صورة مشرقة وعلاجا شافيا لو سار في ركابه الإنسان لوصل إلى أعلى
درجات الكمال من الرقي والتقدم والسعادة في الدنيا والأخرة، وسوف نذكر
ذلك بالفصيل في ردنا على المنحرفين على جميع أشكالهم وألوانهم.

صور الإنحراف :

للإنحراف صور متعددة منها الإنحراف في الفكر، ومنها الإنحراف في
السلوك، ومنها الإنحراف في السياسة، ومنها الإنحراف في العقيدة، وإن
شئنا قلنا أن الإنحراف يمكن أن يوجد في أي عمل يقوم به الإنسان.

وأخطر هذه الأنواع هو الإنحراف في الفكر والإنحراف في العقيدة وذلك
لأن الإنحراف في السلوك والسياسة داخلين في النوع الأول ومن هنا سوف
نركز على هذين النوعين من الإنحراف ثم نبين كيفية معالجة الإسلام لهما
وبالله التوفيق.

أولا: الإنحراف في الفكر:

يتميز الإنسان عن بقية المخلوقات بأنه كائن حر الإرادة فهو وحده بحرية مطلقة يتحرك بين البدائل المختلفة، ويختار منها ما يريد لنفسه والإرادة في الإنسان نابعة من العقل، ومع سلامة العقل تسلم الإرادة و تكون سلوكيات الإنسان في الغالب صحيحة.

ومع حدوث بعض الخلل في العقل تختل الإرادة، وبالتالي تكون سلوكيات الإنسان غير منضبطة، والعقل كقوة في الإنسان يكون الأفكار، ومع سلامة الأفكار التي كونت والوصول إلى القناعة الكاملة بها تتحول هذه الأفكار إلى عقيدة تسيطر على حركة الإنسان وتحكم كل سلوكياته، وتؤثر فى كيانه، وتتحكم فى طاقاته، بل تدفعه أحيانا إلى تقديم روحه رخيصة من أجل الدفاع عن المعتقد.

ولو حاولنا أن ننظر إلى ذواتنا نظرة متأنية، فسوف نجد ما يؤكد القضية السابقة فكل إنسان خاضع لأفكاره التي كونها وأصبحت معتقدا له.

فالذي عاش في بيئة إسلامية صالحة منذ طفولته يتلقى الفكرة تلو الأخرى عن أركان العقيدة، وما يتصل بالعبادات والمعاملات والأخلاق، ومع التلقي يرى التطبيق العملي فإذا ما أصبح شابا قادرا على التعبير عن ذاته، نجد الأفكار التي تلقاها وعاشها هي التي تحكم ذاته.

ونفس الأمر بالنسبة للذى عاش في بيئة كافرة تذوب ذاته في الغالب في الأفكار التي تأتيه من بيئته، فتراه يتعصب لها بل يعمل على نشرها ويحسب أنه على حق في كل ما يقول ويعمل، لأن ما تلقاه من أفكار في صباه أصبح بالنسبة له عقيدة تؤثر في ذاته وفي سلوكياته، والإختلاف الناجم بين الأفراد سببه المباشر الإختلاف في الأفكار، فكل واحد يعيش

بأفكاره التي كونها لنفسه، أو كانت له وربي عليها حتى أصبحت هي إياه، وكل واحد يعيش لأفكاره حيث يدافع عنها ويتحمس لإثبات خطأ أفكار الغير ولو أدى ذلك إلى هلاكه.

ومن هنا وجدنا أعداء الإسلام مثل الصهيونية ومن على شاكلتهم هم أنفسهم أصحاب دعوات هدامة، وأفكار اصطنعوها وإقتنعوا بها، وسيطرت على حركتهم في الوجود وحسبوا أنهم بها قادرون على تغيير مسار الإنسانية والتحكم في مقدوراتها وهم يعلمون يقينا أثر الفكرة في حياة الإنسان، ولذا يزيفون أفكارهم ويدفعون بها إلى الشعوب في همس تارة، وفي ضجيج إعلامي تارة أخرى، ووسط ركام من التزييف والتخريف تارة ثالثة ومن طبيعة اليهود أن يحبوا أثارة الأراجيف والثورات وفيهم يقول الكاتب الفيلسوف برنارد لازار: اليهودي يضطرم بروح ثوري، وهو داعية للثورة سواء شعر بذلك أم لم يشعر[1].

ومما يؤكد نسبة أكثر الحركات الهدامة السرية لليهود أنه تظهر دائما في هذه الحركات أثار التعاليم اليهودية الفلسفية ويعترف اليهود بذلك، فقد ورد في مجلة الجامعة الإسرائيلية نص خطير بهذا الشأن إقتطفه لونذ ديست ووضعه على غلاف كتاب له عن اليهود والجمعيات السرية وفيما يلي هذا النص: نصادف في كل التغيرات الفكرية الكبرى تقريبا عملا يهوديا، سواء أكان ظاهرا واضحا أو خفيا سريا، وعلى هذا فإن التاريخ اليهودي يمتد بإمتداد التاريخ العالمي بجميع مجالاته حيث تغلغل فيه بآلاف الدسائس[2].

---

١) نقلا من مجلة منبر الإسلام العدد الثامن ديسمبر ١٩٩٨ ص ٦٧.

٢) مصر وقانون الاضطهاد الديني الأمريكي د/ أحمد شلبي مقال ص ٦٧ المرجع السابق.

واليهود تاريخهم معروف في التحريف والتكذيب وإشاعة الأضاليل وفي العصر الحديث أقاموا أكبر فتنة للإيقاع بين الغرب والمسلمين، وأعلن زعمائهم أن الإسلام والمسلمين هم العدو اللدود للغرب بعد الشيوعية، وبعد نهاية الإتحاد السوفيتى، وظهرت بذلك خرافة صراع الحضارات ".

وما كادت هذه النظرية تترنح، وتتجه للغروب حتى كان اليهود يدبرون مؤامرة جديدة ضد الإسلام والمسلمين، وكان الإدعاء الجديد متجها إلى أن في مصر اضطهادا دينيا ضد الأقباط وأنهم لذلك ينشدون العون ضد المسلمين.

ومن هنا فقد نشرت صحيفة "الصنداى تليجراف" البريطانية مقالا إدعت فيه أن الأقباط في أحدى قرى محافظة سوهاج تعرضوا للصلب والإغتصاب، وقد جاءت رواية الصنداى تليجراف لتقدم شهادة زور علنية بأن مصر بلد الإسلام، وبلد التسامح الدينى، تمارس الإضطهاد الدينى.

لم يعد سرا أن المحرض الأول هو منظمة " بيت الحرية " وهى منظمة أسسها ويديرها (مايكل هورفيتز) أحد النشطين في الحركة الصهيونية الأمريكية، وأن الهدف من وراء كل هذه العملية هو إتهام الإسلام بعدم التسامح وبالتضيق على الحريات الدينية للمسيحين[1].

---

١) مقال بعنوان أكبر من شهادة زور للكاتب محمد السماك جريدة الأهرام العدد ٤٠٨٧٥ الأربعاء نوفمبر ص ٩ ١٩٩٨.

الرد على هذه الدعوى الكاذبة :

أولا: سماحة الإسلام :

لقد حرص الإسلام أول ما حرص على الأخوة الإنسانية بين البشر مهما إختلفت الألوان وتباينت اللهجات فالخالق واحد والأصل واحد " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا"(١).

من أجل ذلك حرص الإسلام على الأخوة الإنسانية وعمل على تقويتها بما شرع من شرائع، وبما وضع من قوانين فى معاملة المسلمين لغير المسلمين.

ومما يؤكد حرص الإسلام على الأخوة الإنسانية بين البشر جميعا تمتع غير المسلمين بحقوقهم وحريتهم في ظل الإسلام حتى أننا لنجد فى السنة النبوية الشريفة النهى عن إيذاء أهل الكتاب يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " من آذى ذميا فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله "، ويقول " من آذى ذميا فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة"(٢).

وقوله: "من قتل معاهدا - أي ذميا - لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما"(٣).

---

١) سورة النساء - الآية رقم (١).

٢) الجامع الصغير في شرح أحاديث البشير النذير للسيوطي جـ ٢ ص ٥٤٧.

٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر جـ ١٥ ص ٢٤٨.

وفي عصر الخليفة عمر رضي الله عنه شكا إليه أحد أقباط مصر من أن ابن والي مصر عمرو بن العاص قد لطم ابنه لما غلبه في سباق، وقال له أتسبق ابن الأكرمين ؟ فما كان من عمر إلا أن أمر بحضور والي مصر وابنه إلى مكه في موسم الحج وفي جمع كبير من الناس أعطى عمر الدرة للقبطي وأمره أن يقتص من ابن الأكرمين، ثم اتجه إلى عمرو وقال له تلك الكلمة المأثورة " متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ".

كذلك جاء في كتاب خالد بن الوليد لأهل الحيرة " جعلت لهم - أي أهل الذمة - أيما شيخ ضعيف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة"[1].

وقد جرى الخلفاء الراشدون على رعاية حق الحياة لأهل الذمة وذلك إنطلاقا من منهج القرآن الكريم الذي جعل للنصارى موضعا قريبا من قلوب المسلمين فقال جل شأنه " ولتجدن أقربهم للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون "[2].

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب له إلى عمرو بن العاص في أثناء ولايته على مصر: "إن معك أهل الذمة والعهد فاحذر يا عمرو أن يكون رسول الله خصمك"[3].

---

١) الأقباط والإسلام د/ محمد سليم العوا ص ٣٨، ٣٩.

٢) سورة المائدة - الآية رقم ٨٢.

ولقد رسم الدين الإسلامى الحنيف الطريقة المثلى لكسب ود غير المسلمين وصداقتهم وبين أن في إتباع هذه السياسة ما يؤدى إلى نشر السلام وكسب الثقة، وإزالة حاجز الخوف الذي يفصل بين المسلمين وبين غيرهم، حتى يقارنوا بين ما هم عليه وبين ما يدعوا إليه الإسلام، وما يعاملهم به المسلمون من بر وعدالة، وقد يكون ذلك أقرب السبل وأقصرها وأيسرها إلى هدايتهم، ويقول الحق تبارك وتعالى: " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين "[1].

فقوله تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم" أي وتعدلوا فيهم بأحسانكم إليهم وبركم بهم.

وأرجح الأقوال وأولاها بالقبول: أن الله تعالى يعني بذلك المخالفين لنا في الدين من جميع أصناف الملل والأديان وأن تبروهم وتقسطوا إليهم، أي أن الله عز وجل عم بذلك جميع من كان ذلك صفته، ولم يخص بعضا دون بعض لأن بر المؤمن بمن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه ولا نسب، غير محرم ولا منهى عنه، إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام أو تقوية لهم بكراع أو سلاح.

ويبين صحة ذلك ما روى عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: نزلت في أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما وكانت لها أم في الجاهلية يقال لها قتيلة بنت عبد العزى فأتتها بهدايا. . فقالت: لا أقبل لك هدية ولا تدخلي

---

[1] سورة الممتحنة – الآية رقم ٨.

وكيف يتهم بالتعصب وعدم السماحة الدين الذي إنتصر كتابه لموسى وقومه من فرعون وملئه على ما تزخر به سور القرآن الكريم يقول الله تعالى "وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا إطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، قال قد أجبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون، وجاوزنا ببني أسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا أله إلا الذي آمنت به بنوا أسرائيل وأنا من المسلمين "(١).

بل كيف يتهم بالتعصب الدين الذي إنتصف كتابه للسيدة مريم وبرأها مما زعموه وأنزلت باسمها في القرآن إحدى سورة (سورة مريم) وبسط حقيقة السيد المسيح عليه السلام بأنه كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه، وإنتصف للسيدة مريم وما رميت به وقال في شأنها " يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين "(٢).

وليس أبلغ في الدلالة على ذلك أنه - حتى هذه اللحظة - ورغم مرور أكثر من أربعة عشر قرنا على ظهور الإسلام وإحتلاله خمس مساحة الكرة الأرضية وزيادة أتباعه على المليار حتى هذه اللحظة لم يعرف عن كاتب مسلم - واحد فقط - طعن في موسى وعيسى عليهما السلام أو مسهما بأي تنقيص أو إساءة.

---

١) سورة يونس - الآيات أرقام ٨٨ - ٩٠.

٢) سورة آل عمران - الآية رقم ٤٢.

هذا في الوقت الذي تطاولت فيه أقلام كثيرة حاقدة على الإسلام وعلى نبي الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأقصى الإتهامات وما تزال تفعل ذلك، فمن يكون المتعصب إذن ؟إذا كان هناك دعاة للتعصب فهم، وإذا كانت هناك دعوة للعنصرية فهم المروجون لها، إن الإسلام لا يعرف التعصب ولا يدعوا إلى العنصرية، وإلا فإني أطلب من أصحاب هذه الدعوات الهدامة أن يدلونا على أية في كتاب الله تعالى أو حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يدعوا إلى التعصب ضد إتباع أي دين سماوي بوصفهم أتباع هذا الدين أو ذاك.

ونحن كمسلمون على ثقة ويقين أنهم لن يجدوا نصا واحدا يخدم دعواهم الكاذبة وإذا ثبت لنا عجزهم، فقد بطل إذن زعمهم يقول الكاردينال ترانكون " عن صاحب الدعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كيف يستطيع المسيحي أن يقدر الإسلام والمسلمين دون تقدير نبيهم والقيم التي بثها ولا يزال في حياة أتباعه أليس الإحتفاء إلى ما تقوله العقيدة الإسلامية عن محمد وهو أحسن سبيل إلى الإقتراب بكل احترام ومودة من أخواننا المسلمين[1].

ويقول المؤرخ الفرنسي "لامارتين": هل ثمة رجل أعظم من محمد؟ لم يحدث قط أن إنسانا إتخذ لنفسه أجل وأروع من هذا الهدف أن يمحق الخرافات التي حالت بين الإنسان وخالقه وأن يقرب ألاء الله إلى الإنسان، ويقرب الإنسان إلى الله، وأن يرسي دعائم فكرة الإلوهية، وأكثر من هذا كانت زلزلته للمنابر حتى أصبحت كل كلمة من كتابه قانونا، وإستطاع أن يحقق قومية روحية، فرجت بين شعوب متعددة الألسن والأجناس[2].

---

١) مجلة الفيصل -روح قرطبة- بحث بقلم فاروق شوشة العدد الخامس ص٨١.

٢) نقلا من مجلة الأزهر في ربيع الأول سنة ١٣٩٦ هـ.

وخلاصة القول :

أن الإسلام نهى عن التعصب، وكان أول ما صنعه في ذلك أن أهال التراب على العصبية بكل صورها، وحرم على المسلمين أن يحيوا أي نزعة من نزعاتها أو يدعوا إليها وأعلن النبى صلى الله عليه وسلم براءته ممن يفعل ذلك فقال: " ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية"(١).

فلا إمتياز للون معين من البشرية، ولا لجنس خاص من الناس، ولا لرقعة من الأرض، ولا يحل لمسلم أن يتعصب للون على لون، ولا لقوم على قوم، ولا لإقليم على إقليم.

ولا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينتصر لقومه لمجرد إنتسابه إليهم محقين كانوا أو مبطلين، مظلومين أو ظالمين فعن واثله بن الأسقع قال: قلت: يا رسول الله ما العصبية ؟ قال: أن تعين قومك على الظلم "(٢).

والحق تبارك وتعالى يقول: "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا"(٣).

من هنا نعلم أن كل دعوة بين المسلمين إلى عصبية أقليمية أو إلى عصبية عنصرية إنما هي دعوة جاهلية يبرأ منها الإسلام ورسوله وكتابه.

---

١) رواه أبو داود.

٢) رواه أبو داود.

٣) سورة النساء – الآية ١٣٥.

ثانيا: الرد على زعمهم بالتضيق على الحريات الدينية للمسيحيين:

بداية أود أن أشير إلى ما زعمته الكاتبة فى صحيفة "الصنداى تليجراف" الريطانية من القول بالإضطهاد الدينى أمر لا يقره الواقع ولا يقره الدين، وسوف نقدم من البراهين ما يؤكد رفض الدين الإسلامى لهذه المزاعم وتلك الإفتراءات. وأرض الواقع التي يستشهدون من خلالها بالإضطهاد الدينى تؤكد الحقائق الآتية:

١-الحقيقة والواقع وكل الدلائل تؤكد أن مصر بلد الأمن والأمان، ولا تعرف ما يسمى بالفتنة الطائفية، ولا يوجد بها إضطهاد ديني وأن قطبي الأمة مسلمين وأقباط يربطهم رباط واحد وهدف واحد ومصالح مشتركة.

٢-أن القرية التي زعموا أن فيها إضطهاد ديني يبلغ عدد سكانها ٤٠ ألف نسمة سبعون فى المائة منهم من الأقباط والباقون مسلمين وبها خمس كنائس تقام فيها الطقوس الدينية بكل حرية وإختيار يؤكد هذا راعي الكنيسة بالقرية فيقول: " إنني أؤكد أن ما أثير عن وجود فتنة طائفية وإضطهاد ديني في صحافة الغرب لا أساس له من الصحة، فالعلاقة بيننا وبين الأخوة المسلمين يسودها الحب والتسامح والمودة، بيننا علاقات متبادلة في كل شئ، ويشاركننا السراء والضراء والأعياد ومعظم أصدقائنا من المسلمين، فالدين لله والوطن للجميع، لا يوجد بين أقباط ومسلمي القرية أية ضغائن أو خلافات أو مشاكل، لدرجة أن أيام الأعياد تتحول إلى مظاهرة حب وأكرر أن ما أثير في صحافة الغرب لا يمت للواقع بصلة ونرفضة تماما، لن يحدث في مصر إلى يوم الدين[1].

---

١) نقلا من جريدة الأهرام في عددها (٤٠٨٧٩) ص٣٥، الأحد ٨ نوفمبر ١٩٩٨.

موقف الإسلام من هذه الفرية:

للإنسان في منظور الإسلام كل الحق في أن يعتنق الدين أو المذهب أو المبدأ الذي يشاء، وله كل الحرية في أن يمارس من شعائر دينه ما يراه علانية أو خفاء، كما أن له الحق أيضا في ألا يعتنق على الإطلاق أي دين طالما أن ذلك كله لا يضر بالأخرين، إذ أن حرية الإنسان تنتهي عند بداية حقوق غيره.

وتقتضي حرية العقيدة حق الإنسان فيها هو ألا يفرض على أي إنسان إعتناق دين معين، ولا أن يقهر عليه من أي سلطة كانت حتى والو كان هذا هو الدين الرسمي للدولة، ولا أن يكره على مباشرة شعائر دين ما أو يشترك في طقوسه ومناسكه.

وأتصال العقيدة بحرية الإنسان ينبع من كون العقيدة هي ما ينعقد عليه قلبه وضميره ومن ثم فإن أساس تكوينها لدى الإنسان هو عقله وفكره وقلبه ورغبته بالدرجة الأولى.

هذا ويتفرع على مبدأ الحرية في إعتناق العقيدة إطلاق حرية الإنسان في ممارسة شعائر دينه خفاء أو علانية[1].

ومن ثم نعلم أن هذه العقيدة الصحيحة لا تتأسس إلا على الحرية والإختيار ولهذا لا يعتد بإيمان المكره ولا بكفرانه، يقول الحق تبارك وتعالى موضحا ذلك المعنى " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي "[2].

---

١) الحرية الفكرية وترشيد العقل في الإسلام د/ عاصم أحمد عجيلة ص ١٨.

٢) سورة البقرة - الآية رقم ٢٥٦.

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه في سبب نزول قوله تعالى: "لا إكراه في الدين" قال: نزلت في رجل من الأنصار يقال له الحصيني، كان له أبنان نصرانيان، وكان هو رجلا مسلما، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا أستكرها ؟ - أجبرهما على الإسلام - فإنهما قد أبيا إلا النصرانية، فأنزل فيه "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"[1].

إن حرية العقيدة في اسلام مصونة ومقدسة ومكفولة إلى حد التقديس الذي لا يجوز العدوان عليه، ومما يؤكد أن الإسلام أعطى للإنسان الحرية الكاملة في مسألة الإعتقاد ما عبر عنه القرآن في قوله تعالى: " قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين"[2].

وقد صرح القرآن بأن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم هي التبليغ والإنذار وليست الهيمنة والزعامة والجبر والإكراه يقول الله تعالى: "وقل للذين أتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد إهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد"[3].

ويقول أيضا : "فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمصيطر، إلا من تولى وكفر، فيعذبه الله العذاب الأكبر"[4].

---

١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ١ ص ٣١٠.

٢) سورة الكافرون الآيات ١ - ٦.

٣) سورة آل عمران - الآية رقم ٢٠.

٤) سورة الغاشية - الآيات أرقام ٢٢ - ٢٤.

لقد مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بارا بدينه وفيا برسالته ملتزما أعظم ما يكون الإلتزام بضوابط الدعوة وآداب عرضها لم يخرج عليها لحظة قيد أنمله لا في حربه ولا في سلمه، ولا مع متبعيه ولا مع مخالفيه، فلم يؤثر عنه مطلقا إكراه غيره على دينه وإنما أثر عنه الرفق واللين والسماحة والموضوعية.

إن الإسلام ينهج أسلوب الإقناع، ويعرض وجهة نظره بما لا إكراه فيه ولا حجر فيه على الفكر والعقل، لذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب "والله لأن يهدي الله على يديك رجلا خير مما طلعت عليه الشمس وغربت".

أنه دين العقلانية والموضوعية والإلتزام، ولذا كان الذين دخلوا في الإسلام بالكلمة الطيبة اللينة وبالإقناع وإعمال الفكر أضعافا مضاعفة[1].

إن الإسلام سهل سمح لا يحمل الحقد والكراهية والعدوان لمخالفيه في العقيدة وليس في تعاليمه ما يضر غير المسلمين الذين يعيشون في بلاد الإسلام، فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وهذا ما سار عليه المسلمون منذ فجر الإسلام وحتى يومنا هذا أخوة في الإنسانية ومعاملة حسنة تفيض بالبر والعدل والوفاء بالعهد إعترافا لكل ذي حق بحقه ومحافظة على حرمة الدم والمال والعرض، تعلوهم راية التعاون والتسلمح وروح الأخوة والمحبة.

يقول الدكتور/ جرينيه الفرنسي متحدثا عن عظمة الإسلام: إنني تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها إرتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتي درستها من صغري وأعلمها جيدا فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الإنطباق

---

١) السلام رسالة السماء للأستاذ/ محمود النبوي الشال ص ٥٥.

على معارفنا الحديثة، فأسلمت لأني تيقنت أن محمدا صلى الله عليه وسلم أتى بالحق الصريح[١].

إن العقيدة الإسلامية رغم كيد أعدائها لها ومحاولاتهم اليائسة لتشويه صورتها وبث الشبهات حولها رغم كل ذلك فإنها تقف كالطود الشامخ لا تهزها رياح الأعداء، ولا تؤثر فيها أحقادهم، ولا ينتقص من عظمتها أراجيفهم وأكاذيبهم.

إن دعوة الإسلام في جوهرها دعوة إلى الحرية وإلى هذا يشير القرآن الكريم: "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا إشهدوا بأنا مسلمون"[٢].

إن تعاليم الإسلام ما شرعت إلا لتحفظ على الإنسان إنسانيته وهي تعاليم لم تشرع لتكون مجرد أوامر ونواهي، أوامر يلتزم بها الإنسان ونواهي ينأي عنها في حياته دون حكمه أو فائدة، وإنما شرعها الله عز وجل وقد جعل لكل منها وظيفة لو أمعن الإنسان النظر فيها وأطال فكره في مقاصدها لوجدها في جملتها تمثل زاده في الحياة.

يتضح لنا ذلك من خلال أحكام الشريعة الإسلامية وما تهدف إليه من المحافظة على الضرورات الخمس وهي النفس والدين والمال والعقل والنسل، وذلك لأن الدنيا التي يعيش عليها الإنسان تقوم على هذه الأمور الخمسة ولا تتوافر الحياة الإنسانية الرفيعة إلا بها، ولذلك كان تكريم الإنسان بالمحافظة عليها.

---

١) أوروبا والإسلام د/ عبد الحليم محمود ص ٨٥.

٢) سورة آل عمران الآية ٦٤.

فالدين لابد منه للإنسان الذي تسمو معانية الإنسانية عن دركة الحيوان، لأنه التدين خاصة من خواص الإنسان ولابد أن يسلم دينه من كل إعتداء، وقد حمى الإسلام بأحكامه حرية التدين ونهى عن الفتنة في الدين وإعتبر الفتنة فيه أشد من القتل يقول الحق تبارك وتعالى: "والفتنة أشد من القتل"[1].

وأنه من أجل المحافظة على التدين وحمايته وتحصين الناس بالمعاني الدينية شرعت العبادات كلها فهي لتزكيه النفس وتنمية روح التدين.

يقول ابن القيم عن الشريعة الإسلامية: إن مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها ومصالح كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور ومن الرحمة إلى ضدها ومن المصلحة إلى المفسدة ومن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه[2].

إن غياب الإسلام عن العالم يؤدي إلى ضياعه وتدميره بل لا يبقى على الإطلاق شئ في محله، لأن الإسلام هو الأصل الرباني الوحيد الصحيح السليم عن الإنحراف والتخريف، وهو وحده الذي تستطيع البشرية أن تفيء إلى ظله وأن تنعم بالحرية تحت لوائه هذا إلى جانب أهمية الدين للبشرية وإسعادها فإن الإسلام دعا كذلك إلى المحافظة على النفس، وذلك لأن حق الحياة مقدس للإنسان والمحافظة على النفس هي المحافظة على حق الحياة العزيزة الكريمة وذلك يقتضي حمايتها من كل إعتداء عليها بالقتل أو القذف والسب وبكل ما يتعلق بالكرامه الإنسانية.

---

١) سورة البقرة - الآية رقم ١٩١.

٢) إعلام الموقعين لابن القيم جـ ٣ ص١.

والمحافظة على المال تكون بمنع الإعتداء عليه بالسرقة والغصب زنحوها، وتنظيم التعامل بين الناس على أساس من العدل والرضا ومن أجل ذلك شرع حد السرقة، ويدخل في المحافظة على المال كل ما شرع للتعامل بين الناس من بيوع وإيجارات وغيرها من العقوبات المالية[١].

والمحافظة على النسل هي المحافظة على النوع الإنساني وتربية الناشئين تربية قوية، وقد اقتضى ذلك تنظيم الزواج ومنع الاعتداء على الأعراض سواء أكان بالقذف أم كان بالفاحشة فإن ذلك اعتداء على الأمانة الإنسانية التي أودعها الله تعالى جسم الرجل والمرأة ليكون منهما النسل والتولد الذي يمنع فناء الجنس البشري فيكثر النسل ويقوي، ومن أجل ذلك كانت عقوبة الزنا وعقوبة القذف، وغير ذلك من العقوبات التعذيرية التي وضعت لحماية النسل.

مما سبق يتضح لنا أن الدين الإسلامي شرع من التعاليم والقوانين ما يسعد البشرية كلها مسلمين وغير مسلمين حيث وضع الإسلام نظاما فريدا في نوعه فتناول حياة الناس في شتى نواحيها ومختلف وجوهها وأرشد إلى التعاليم والقواعد التي تكفل سعادة الأمة وتحفظ عليها أمنها وإطمئنانها، وفدعا إلى حرية الدين وأمر بالمحافظة على النفس البشرية وبقاها، وجعل الإعتداء على نفس واحدة بمثابة الإعتداء على البشرية كلها حيث قال تبارك وتعالى: "من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون"[٢].

---

١) أصول الفقه للشيخ أبو زهرة ص ٣٩٩.

٢) سورة المائدة – الآية رقم ٣٢.

ودعا الإسلام كذلك إلى المحافظة على الأموال وعدم التعرض لأموال الغير بالسرقة أو الإغتصاب ووضع من أجل ذلك حد السرقة فقال جل شأنه: "والسارق والسارقة فإقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم"(١).

وفي غياب الإسلام وتعاليمه وجدنا الفوضى والإضطراب في جميع نواحي الحياة كثر الإجرام زهقت أرواح بلا ذنب أو جريمة وعم الشذوذ الأخلاقي، وكثرت العلاقات الجنسية الغير المشروعة وإلى هذا يشير الدكتور/ إبراهيم سليمان بقوله: في عصرنا هذا الذي يقال عنه عصر المدنية تجد هذه الحقائق:

١-قتل في روسيا من أجل تنفيذ الشيوعية وتحقيقها ١٩ مليون نسمة وحكم على نحو ٢ مليون نسمة بعقوبات فادحة مختلفة، ونفي عن البلاد أكثر من ٤ مليون نسمة فماذا تعني هذه الأرقام ؟ هل تعني أن هناك قيمة للنفس البشرية.

٢-ماذا يعني إغتيال السود لأنهم سود في أمريكا أو جنوب أفريقيا ماذا يعني القضاء على مسلمي البوسنة والهرسك والصومال وغيرهم؟(٢).

وحيث غاب الإسلام إنتشرت الأمراض الخبيثة التي تقضي على النسل كمرض الزهري والذي يموت بسببه مئات الألوف من الأطفال في كل المجتمعات المعاصرة ولا ننسى هذا المرض الذي يحصد النفوس مرض الأيدز وإنتشاره في كل المجتمعات التي خرجت عن شرع الله وتعاليمه.

---

١) سورة المائدة - الآية رقم ٣٨.

٢) كرامة الإنسان إحدى مقومات البناء الحضاري الإسلامي د/ إبراهيم سليمان عيسى ص٤٤ وما بعدها.

تقول دائرة المعارف البريطانية عن المجتمع الأمريكي أنه يعالج في المستشفيات الرسمية هناك مائتا ألف مريض بالزهري ومائة وستون ألف مصاب بالسيلان في كل سنة بالمعدل، وقد إختص بهذه الأمراض وحدها ستمائة وخمسون مستشفى إلى أنه يفوق هذه المستشفيات الرسمية نتائج الأطباء غير الرسميين الذين راجعهم ٦١٪ من مرضى الزهري و ٨٩٪ من مرضى السيلان (١).

وعلى ضوء ما سبق نستطيع أن نقرر أن مقصود الشارع الحكيم في كل ما حرمه أو نهى عنه إنما يرجع إلى حماية البشرية من الوقوع في الإنحراف وحمايتها من الزلل ونستطيع بعد هذا البيان أن نستخلص النتائج الآتية:

أولا: أن الدين الإسلامي يحارب الغلو والإنحراف ولذلك دعا إلى رفضهما ومقاومتهما بشتى الطرق ومختلف الوسائل.

ثانيا: أن المنهج المتكامل الذي وضعه الإسلام لحماية البشرية على إختلاف أشكالها وألوانها يجب العمل به والمحافظة عليه لتحقيق السعادة والطمأنينة للبشرية.

ثالثا: أن الإنسان بلا إسلام يقتل نفسه ويظلمها، ويعيش حياة كلها ألم مهما أخذ حظة من اللذة العابرة، وإن الإنسانية بلا إسلام تدمر نفسها وتهدم سعادتها وتعيش حياة الشقاء الدائم.

رابعا: لو كان المسلمون متعصبين وبعيدين عن الإسلام كما يدعي البعض ما بقيت حتى الآن كنائس ومعابد في البلاد التي فتحها المسلمون، فوجود

---

١) دائرة المعارف البريطانية جـ ٢٣، ص ٤٥.

مثل هذه المعابد والكنائس يكذب دعواهم بأن الإسلام يدعو إلى التطرف والإرهاب.

خامسا: سنة الله في خلقه أنه قد ينشب خلاف أو قتال بين المسلمين وبين غيرهم بل بين الأشقاء وبين الرجل وأبنائه وذلك ناتج عن ضيق أفق أي طرف من المتخاصمين، وليس صادرا عن تعاليم الإسلام ولا في طلبها، فهل يردم البحر ويجفف ماؤه لمجرد أن غرق طفل به، وهل يضر الشمس أن يراها من بعينه رمد.

سادسا: أن الإسلام سيبقى وسوف يظل هو الدين الخالص الصالح لكل زمان ومكان مادامت السموات والأرض لأنه دين الله خالق الخلق ورب الكون وما فيه.

سابعا: أن المتتبع للتاريخ الإسلامي يجد المسلمين وقد فتح الله عليهم ولهم أمصارا كثيرة، وإنتشرت الحضارة الإسلامية، وعامل المسلمون غيرهم معاملة كريمة تجلت فيها سماحة الإسلام وعمت عدالته كل الناس، ولم يؤثر عن أي حاكم أو وال من الولاة الإسلام أن هدم كنيسة أو زال معبدا، بل العكس هو الصحيح فقد قدموا كل الحماية لغير المسلمين متى توفرت شروطها.

ثامنا: أن الإسلام سهل سمح لا يحمل الحقد والكراهية والعدوان لمخالفيه في العقيدة وليس في تعاليمه ما يضر بغير المسلمين الذين يعيشون في بلاد الإسلام، فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وهذا ما سار عليه المسلمون منذ فجر الإسلام وحتى يومنا هذا أخوة في الإنسانية ومعاملة حسنة تفيض بالبر والعدل والوفاء بالعهد، تعلوهم راية التعاون والتسامح.

بهذه الحقائق الثابتة والنتائج الواقعية نستطيع أن نكشف في وضوح أن جهود المغرضين والحاقدين لا تستند على حجة ولا عقل ولا منطق بل هي جهود مغرضة الهدف منها النيل من الإسلام وأهله، ولقد اتسمت هذه الجهود بالكذب والافتراء والمغالطة.

وبالتالي المسلمون يرجعون إلى مبادئ دينهم فيتحدوا على قلب رجل واحد ويتعاونوا ولا يفترقوا ويتركوا الخلاف والشقاق بينهم وأن يوحدوا صفوفهم حتى ينهضوا ويتقدموا ويحققوا الرخاء لهم ولأبناء وطنهم ويكونوا كما أراد الله في قوله تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله". وكما دعاهم إلى التعاون في قوله "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان".

وفي نهاية بحثي أسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت في الوصول إلى ما أردت تحقيقه من البحث، وأتمنى من الله عز وجل أن ينصر الإسلام والمسلمين وأن يجعل راية الإسلام خفاقة عاليه في مشارق الأرض ومغاربها ليظل الإسلام نورا يهتدى به إنه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين.

تم بحمد الله